كلية اللغة العربية بأسيوط

المجلة العلمية

_ _ _ _ _ _

النكات البلاغية

في شعر الزهد عند أبى العتاهية

" قصيدة حال الإنسان فى الدنيا والآخرة .أنموذجًا ."

إعداد

د / سامية عبد الحميد عبد المجيد

كلية البنات الإسلامية – جامعة الأزهر بأسيوط

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

(العدد الثلاثون – الجزء الرابع ديسمبر ٢٠١١م)

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ٠ وبعد ،،،

فهذا بحث بعنوان " النكات البلاغية فى شعر الزهد عند أبى العتاهية " قصيدة حال الإنسان في الدنيا والآخرة أنموذجاً ٠

وسبب اختيارى لهذا الموضوع " أنه جاء تسلية لنفسى واصطباراً لها بعد فقدان زوجى ـ رحمه الله ـ ٠

فكانت بمثابة شىء ألهمنى الله ـ سبحانه وتعالى ـ به الصبر والسلوان فضلاً عما تمتاز به هذه القصيدة من جمال ودقة فى ألفاظها وتراكيبها ، وما تحويه من نكات بلاغية رائعة جاءت ملائمة للمقام والأحوال ٠

وجاء بحثى فى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة ٠

أما المقدمة : فذكرت فيها سبب اختيارى للموضوع والمنهج العلمى الذى سرت عليه ٠

والتمهيد واشتمل على شقين : الشق الأول تحدثت فيه عن أبى العتاهية مولده ونسبه ، حياته ، صفاته ، وفاته ، وهل كان زاهداً فى صباه أو شيخوخته

الشق الآخر من التمهيد : ذكرت فيه نبذة عن الزهد من حيث تعريفه لغة واصطلاحاً ، وتعريفه عند علماء الصوفية ، ثم درجات الزهد وفضيلته ٠

المبحث الأول وتناولت فيه المقطوعة الأولى من القصيدة، والتى تتحدث عن المنايا ، وأنها تلحق البشر جميعاً ـ لا فرق بين غنى وفقير ـ كما لحقت الأنبياء ـ عليهم السلام ـ والأمم السابقة ، وابتدأت فيها بالمعنى اللغوى للمفردات ثم شرح

الأبيات شرحًا أدبيًا ثم ألوان البلاغة وجمالها فى الأبيات ٠

المبحث الآخر : تناولت فيه المقطوعة الأخيرة من القصيدة والتى تتحدث عن اليوم الآخر وما فيه من حساب وعقاب مبتدئة فى ذلك بالمعنى اللغوى للمفردات ثم المعنى العام للأبيات ثم البلاغة فيها ٠

ثم الخاتمة : وجاءت مشتملة على ما توصل إليه البحث من نتائج ثم فهرست الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وفهرست الموضوعات وفهرست المصادر والمراجع ٠

واستعنت فى سبيل إخراج هذا البحث بالعديد من المصادر والمراجع فى اللغة والأدب والكتب الدينية وكتب البلاغة قديماً وحديثاً ٠

وأرجو أن أكون قد وفقت فى تحقيق الهدف من هذا البحث، وأرجو العفو عما صدر منى من خطأ أو نسيان ٠

وما توفيقى إلا الله ،،،

الباحثة

سامية عبد الحميد عبد المجيد

التعريف بالشاعر أبى العتاهية

حياته وشعره

أ ـ اسمه ونسبه :

هو : إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزى ، الكوفى، يكنى بأبى إسحاق[١] .

وقد اختلف العلماء فى لفظة " أبى العتاهية " هل هى لقب أم كنية؟

فأبو الفرج الأصفهانى يقول " أبو العتاهية لقب غلب عليه، واسمه : إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان مولى عنزة ، وكنيته أبو إسحاق وأما أبو العتاهية فلقب غلب عليه[٢] .

---

[١] الأعلام للزركلى ج١ ص٣٢١ دار العلم للملايين الطبعة الخامسة ١٩٨٠م .

. تاريخ بغداد للبغدادى ج٦ ص ٢٥٠ ، دار الكتاب العربى . بيروت .

. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ج١ ص٢١٩ تحقيق إحسان عباس ، دار الآفاق بيروت .

. الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ج٤ ص١ مصور عن طبعة دار الكتب ، مؤسسة جمال للطباعة .

. شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى ج٢ ص٢٥ تحقيق لجنة إحياء التراث العربى . دار الآفاق الجديدة . بيروت .

. الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينورى ص ٤١٠ حققه د/ مفيد قميحة . دار الكتب الدينوري العلمية . بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ . ١٩٨١م

. تاريخ الأدب العربى د/ شوقى ضيف ، العصر العباسى الأول ص٢٣٨، ٢٣٩ ، دار المعارف الطبعة السادسة عشر .

[٢] الأغانى ج٤ ص١ .

وابن منظور يرى أن لفظ " أبو العتاهية " لقب غلب عليه ، فيقول: " أبو العتاهية الشاعر المعروف ، ذكر أنه كان له ولد يقال له: عتاهية ، وقيل: لو كان الأمر كذلك لقيل له : أبو عتاهية بغير تعريف، وإنما هو لقب له[١] .

وقيل : " أبو العتاهية " لقب لقب به ، لاضطراب كان فيه.

وقيل : بل كان يحب المجون والخلاعة[٢] .

وقيل : " لفظ " أبو العتاهية " لقب أطلقه الخليفة المهدى على شاعره ، لعدة أسباب منها :

أ . أن كلامه كان طويلاً مضطرباً .

ب . وقيل[٣] : لقبه به لما رآه تعته بجاريته ، أى : مولع بحبها .

وقيل : لأنه قال له يوماً أنت إنسان متحذلق ، أى متطرف متكيس معته فاستوت له من ذلك كنية بل " لقب " غلب عليه دون اسمه وكنيته .

أما عن معناها اللغوى فينطوى تحتها معان كثيرة يقال : عته فلان فى العلم ، إذا أولع به ، وحرص عليه .

وعته فلان فى فلان إذا أولع بإيذائه ومحاكاة كلامه .

وقيل : العتاهية مصدر عته ، والعتاهية والعتاهة : ضلال الناس[٤].

كان والد أبى العتاهية نبطيًا ينتمى إلى النبط الذين عاشوا فى أرض العراق ، واتصلوا اتصالاً وثيقاً من قديم بالعرب والفرس .

أما أمه فهى أم زيد بنت زياد المحاربى مولى بنى زهرة ، كان أبوه يشتغل

---

(١) لسان العرب مادة (ع ت هـ) ج٤ ص٢٨٠٤ .

(٢) تاريخ بغداد ج٦ ص٢٥٠ .

(٣) الأغانى ج٤ ص٢ .

(٤) لسان العرب ج١٧ ص٤٠٧ الدار المصرية للتأليف والترجمة .

بالحجامة ، ويظهر أن سبل العيش ضاقت به فى بلدته، فانتقل منها إلى الكوفة بأسرته ، ومعه ابناه الصغيران : زيد وأبو العتاهية[١] .

وقال أبو الفرج الأصفهانى : " وكان محمد بن أبى العتاهية يذكر أن أصلهم من عنزة ، وأن جدهم كيسان كان من أهل عين التمر ، فلما غزاها خالد بن الوليد كان كيسان جدهم هذا يتيماً صغيراً يكفله قرابة له من عنزة ، فسباه خالد مع جماعة صبيان من أهلها فوجه بهم إلى أبى بكر ، فوصلوا إليه ، وبحضرته عباد بن رفاعة العنزى بن أسد بن ربيعة بن نزار ، فجعل أبو بكر يسأل الصبيان عن أنسابهم فيخبره كل واحد بمبلغ معرفته، حتى سأل كيسان ، فذكر له أنه من عنزة ، فلما سمعه عباد يقول ذلك له استوهبه من أبى بكر رضى الله عنه وقد كان خالصًا له فوهبه له، فأعتقه، فتولى عنزة[٢] " .

ب ـ مولده ونشأته وصفاته :

ولد أبو العتاهية فى سنة ثلاثين ومائة[٣] فى بلدة (عين التمر)[٤] وهى بليدة بالحجاز قرب ا

لمدينة وقتل بالقرب من الأنبار .

---

[١] تاريخ الأدب العربى د/ شوقى ضيف ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى جـ٤ ص١ .

[٢] الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ج٤ ص ٣ .

[٣] وفيات الأعيان ج١ ص ٢٢٢ .

[٤] المرجع السابق ج١ ص ٢١٩ ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى ج٢ ص ٢٥ تحقيق لجنة إحياء التراث العربى . دار الآفاق الجديدة . بيروت ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج٦ ص ٢٥٠ دار الكتاب العربى . بيروت .

. عين التمر بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا منهما يجلب القسب والتمر إلى سائر البلاد .

ينظر : معجم البلدان لياقوت الحموى ج٤ ص ١٧٦ دار الفكر . بيروت .

نشأ أبو العتاهية بالكوفة ، وسكن بغداد ، وبها أقام ، وكان فى أول أمره يخنث ويحمل زاملة[١] المخنثين ، ثم كان يبيع الفخار والجرّار فقيل له الجرّار ٠

يقول د/ شوقى ضيف :

" فعندما شب انتظم فى سلك المخنثين ممن كانوا يخضبون أيديهم ويتزينون، ويلبسون ملابس النساء حاملين لزوامل تميزهم، ولعل فى ذلك ما يدل على ما كان يحسه هذا الغلام من ضياع، إذ نشأ فى أسرة فقيرة مغمورة ، لا يعتز بأى شىء فى دنياه من جاه أو حتى ثروة ضيقة ، وكان دميم الوجه ، قبيح المنظر نزعت به نفسه إلى اللهو والمجون "[٢] ولذلك كتب عليه أن يكون سيىء السيرة فى مطلع حياته ، وكان أخوه زيد قد احترف عمل الخزف وبيع الجرار والفخار فحاول أن ينقذه مما تردى فيه ، وما زال به حتى أشركه معه فى حرفته

ج ـ شاعريته :

شب أبو العتاهية وفى نفسه شاعرية قوية، فكان شاعراً مكثراً، سريع الخاطر ، فى شعره إبداع ، كان ينظم المائة والمائة والخمسين بيتاً فى اليوم ٠

يقول المسعودى : " كان أبو العتاهية من أسهل الناس لفظاً، وأقدرهم على وزن الكلام، وكان حلو الألفاظ، حتى إنه يتكلم بالشعر فى جميع حالاته، ويخاطب به جميع أصناف الناس "[٣] ٠

ووجد أمامه طائفة من الشعراء المجان يعيشون فى الكوفة، ولهم شهرة

---

[١] زاملة : البعير الذى يحمل عليه الطعام والمتاع ، لسان العرب مادة زم ل ج١٣ ص٣٢٩ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ٠

[٢] تاريخ الأدب العربى العصر العباسى الأول ص ٢٨٣ دار المعارف الطبعة السادسة عشرة٠

[٣] مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ج٣ ص٣٢٧ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ دار الفكر بيروت ٠

واسعة، وأشعار كثيرة، تتردد فى البيئات المختلفة من أمثال مطيع بن إياس وأبى دلامة فأصبح من شعراء المجون والعبث ، ولعل السبب فى نزوع أبى العتاهية إلى المجون والخلاعة إنما كان فى بعض جوانبه هروباً من الآلام النفسية التى كان يعانيها وتستبد به فيطلب مهرباً منها ، فيجده فى هذا السلوك المارق الذى يباعد بينه وبين واقعه وواقع حياته، ويدفعه إلى الانغماس فى المجون ، إنه يجده شائعاً من حوله بين أتراب ولداته من الشعراء وغير الشعراء، فمارس هذا المجون بشتى صنوفه عندما ذهب إلى بغداد، ووجد عدداً من جلاسه فى أماكن العبث، مثل : مسلم بن الوليد ، وأبى نواس ومن على شاكلتهم من العابثين الماجنين[١] .

ثم أخذ يختلف إلى حلقات العلماء والمتكلمين فى مساجد الكوفة، مما أتاح له إتقان العربية، والوقوف على مذاهب أصحاب المقالات ، كل ذلك ساعده على الإجادة فى جميع فنون الشعر من غزل ومديح وغيرهما " حتى أصبح من مقدمى المولدين من طبقة بشار وأبى نواس وأمثالهما "[٢] .

وعن شاعريته يقول ابن قتيبة : " وكان أحد المطبوعين، وممن يكاد يكون كلامه كله شعراً ، وكان لسرعته وسهولة الشعر عليه ربما قال شعراً موزوناً ، يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب"[٣].

" وكان يجيد القول فى الغزل، والمديح، والهجاء، ثم تنسك وعدل عن ذلك

---

[١] أبو العتاهية (حياته وشعره) تأليف محمد محمود الدش ص١٠٨ دار الكاتب العربى للطباعة بالقاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م .

[٢] شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى ج٢ ص٢٥ تحقيق لجنة إحياء التراث العربى فى دار الآفاق الجديدة .

- الأعلام للزركلى ج١ ص٣٢١ دار العلم للملايين - بيروت.

[٣] الشعر والشعراء ص ٤٠٩ - حققه وضبط نصه د/ مفيد قميحة - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨٤م

إلى الشعر فى الزهد وطريقة الوعظ فأحسن القول فيه، وجود وأربى على كل من ذهب ذلك المذهب ، وأكثر شعره حكم وأمثال وكان سهل القول ، قريب المأخذ ، بعيداً عن التكلف ويقال: أطبع الناس بالشعر بشار والسيد الحميرى وأبو العتاهية[١] .

ويقول عن نفسه : " لو شئت أن أجعل كلامى كله شعراً لفعلت[٢]" .

مذهبه :

اختلف العلماء فى مذهب أبى العتاهية فقال بعضهم: كان أبو العتاهية مذبذباً فى مذهبه ، يعتقد شيئاً فإذا سمع طاعناً عليه ترك اعتقاده إياه وأخذ غيره[٣] .

وقال الآخرون : إن دينه التوحيد، على الرغم من اتهامه بالزندقة، والكثير من شعره يدل على هذا .

قال ابن العماد " وحدث خليل بن أسد الفرشجانى قال : أتانا أبو العتاهية إلى منزلنا ، فقال : زعم الناس أنى زنديق والله ما دينى إلا التوحيد "[٤] .

وفاته :

اختلفت الآراء فى وفاته :

فقيل إنه مات فى يوم الاثنين لثمان خلون من جمادى الأولى سنة ٢١١ هـ

---

(١) تاريخ بغداد ص٢٦ .

(٢) أبو العتاهية حياته وشعره ص ٢٧٥ .

(٣) الأغانى ج٤ ص٦ .

(٤) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى ج٢ ص٢٦

ودفن حيال قنطرة الزياتين فى الجانب الغربى ببغداد[١] .

وابن قتيبة يقول إنه توفى عام ٢٠٥هـ[٢] .

وأبو الفرج الأصفهانى يذكر أنه توفى سنة ٢٠٩هـ[٣] .

والأرجح أنه مات سنة ٢١٣ ، وقد عمر ثلاثاً وثمانين سنة بدليل قول أبى العتاهية " عشت تسعين حجة " وعنى أنه عاش إلى العقد التاسع، ولعله كان يرجو أن يعيش إلى التسعين كاملة بعد أن جاوز الثمانين ببضع سنوات، ولأن يكون قد بلغ ثلاثاً وثمانين سنة من العمر إذا اعتبرنا الوفاة سنة ٢١٣ أقرب إلى التصديق وأقرب إلى النسب من اعتبار الوفاة سنة ٢١١ ـ ٢١٠ هـ[٤] .

الجانب الثانى من التمهيد : الزهد :

وفى هذا الجانب سأتحدث عن تعريف الزهد فى اللغة والاصطلاح ودرجاته وفضيلته .

تعريف الزهد فى اللغة :

الزهد والزهاد فى الدنيا ، ولا يقال الزهد إلا فى الدين خاصة، وزهد فيه كمنع وسمع وكرم زهداً وزهادة : أوهى فى الدنيا .

وزهد فى الدين : ضد رغب ، والتزهيد فى الشىء وعن الشىء خلاف

---

[١] مروج الذهب ٣٥٨/٣ ـ تاريخ بغداد ج٦ ص٢٦٠ ، وفيات الأعيان ج١ ص٢٢٢ .

[٢] الشعر والشعراء ص ٢١١ ،

[٣] الأغانى ج١١٣/٤ .

[٤] أبو العتاهية حياته وشعره ص ١٥٨ : ١٦٠ للدكتور / محمد محمود الدش دار الكاتب العربى للطباعة سنة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ج١ ص٢٢٢ .

الترغيب فيه ، والزهيد : القليل والزاهد هو الذى يرغب عن كل ما سوى الله تعالى ولا يحب إلا الله تعالى ، وجمعه زهد وزهاد وزاهدون[١] .

تعريف الزهد عند الصوفية :

عرف الصوفية الزهد عدة تعريفات ، من ذلك قول شاه الكرمانى[٢]: " علامة الزهد قصر الأمل " وقول الحسن البصرى: "والزاهد فى الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض ما فيها"[٣] .

وقيل الزهد من قوله تعالى : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [٤] .

فالزاهد لا يفرح بموجود من الدنيا ، ولا يتأسف على مفقود فيها "[٥] .

وقيل لبعضهم ما الزهد فى الدنيا؟ قال ترك ما فيها على من فيها[٦].

---

[١] لسان العرب لابن منظور مادة ز هـ د ج٣ ص ١٨٤٦ . دار المعارف .
. القاموس المحيط للفيروزآبادى ج١ ص ٣٠٩ . . دار الجيل . بيروت
. تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى ج٢ ص ٣٦٥ .

[٢] هو شاه بن شجاع أبو الفوارس ، كان من أولاد الملوك ، وكان من أجله الفتيان ، وله رسالات مشهورة والمثلثة التى سماها " مرآة الحكماء " ورد نيسابور فى زيارة أبى حفص ، ومات قبل الثلثمائة ويقال: إن أصله من هرو . ينظر طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى تحقيق نور الدين شريبه ص١٩٢ ، ١٩٣ ، الطبعة الثالثة ١٤٠٦.. ١٩٨٦م .

[٣] الرسالة القشيرية فى علم التصوف لأبى القاسم القشيرى النيسابورى ص٩٥ تحقيق ودراسة هانى الحاج مع تعقيبات شيخ الإسلام ابن تيمية المكتبة التوفيقية .

[٤] سورة الحديد بعض آية ٢٣ .

[٥] الرسالة القشيرية فى علم التصوف لأبى القاسم القشيرى النيسابورى مع تعقيبات شيخ الإسلام ابن تيمية ص٩٤ تحقيق ودراسة هانى الحاج . المكتبة التوفيقية .

[٦] المرجع السابق ص ٩٥ .

وتعريفه عند بعض فلاسفة المسلمين كالإمام الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥هـ " وقد عرف الزهد بأنه عبارة عن انصراف الرغبة عن الشىء إلى ما هو خير منه، فكل من عدل عن شىء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فإنما عدل عنه لرغبته عنه ، وإنما عدل إلى غيره لرغبته فى غيره فحاله بالإضافة إلى المعدول عنه يسمى زهداً .

وشرط المرغوب فيه أن يكون خيراً من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة"[١] .

ولذلك قال الله عز وجل : ﴿ **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ** ﴾ [٢] . معناه باعوه، ووصف أخوة يوسف بالزهد فيه ، إذ طمعوا أن يخلو لهم وجه أبيهم ، وكان ذلك عندهم أحب إليهم من يوسف، فباعوه طمعاً فى العوض فإذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد فى الدنيا "[٣] .

تعريفه عند بعض الأدباء القدامى كالجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ:

أورد الجاحظ عدة تعريفات للزهد فقال : قيل لمحمد بن على[٤] من أشد الناس زهداً ؟

قال : من لا يبالى الدنيا فى يد من كانت[٥] .

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ج٤ ص٢١٦ ، ٢١٧ دار المعرفة . بيروت .

(٢) سورة يوسف ٢٠ .

(٣) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ج٤ ص ٢١٧ .

(٤) محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى ، أبو جعفر الباقر وهو من التابعين ولد سنة ٥٦ وتوفى سنة ١٢٨ .ينظر البيان والتبيين ج٢ ص ٢٦٢ .

(٥) البيان والتبيين أبى عثمان بن عمر بن بحر الجاحظ ت ١٥٠ . ٢٥٥ ج٣ ص١٦١ تحقيق عبد السلام هارون . الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م مطبعة المدنى .

فضل الزهد :

الزهد فى الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين ، قال الله تعالى : ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ﴾ [1] . فنسب الزهد إلى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الثناء

ووصف الله عز وجل الزهد بأنه من أحسن الأعمال فقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [2] . قيل معناه : أيهم أزهد فيها[3] .

وقال رسول الله ﷺ : " إذا أراد الله بعبد خيراً زهده فى الدنيا ورغبه فى الآخرة وبصره بعيوب نفسه "[4] .

وقال ﷺ : " من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات، ومن خاف من النار لها عن الشهوات ، ومن ترقب الموت ترك اللذات، ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات[5] .

درجات الزهد :

ليس الزهد على درجة واحدة ، وإنما يتفاوت حسب تفاوت قوته على درجات

---

[1] سورة القصص ٧٩ ، ٨٠ .

[2] سورة الكهف آية ٧ .

[3] إحياء علوم الدين للغزالى ج٤ ص٢١٩ ، دار المعرفة . بيروت .

[4] أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ج٧ ص ٣٤٧ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ تحقيق محمد السعيد بسيونى زغلول طبعة دار الكتب العلمية بيروت، لبنان .

[5] المرجع السابق ج٧ ص ٣٧٠ وضعفه الألبانى .

١ . الدرجة الأولى وهى السفلى، وهى: أن يزهد الإنسان فى الدنيا وهو لها مشتهٍ ، وقلبه إليها مائل، ونفسه إليها ملتفتة وصاحب هذه الدرجة يسمى المتزهد .

والمتزهد على خطر فإنه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها فى قليل أو كثير .

٢ . الدرجة الوسطى وهو الذى يترك الدنيا طوعاً لاستحقاره إياها ، بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذى يترك درهماً من أجل درهمين ، فإنه لا يشق عليه ذلك ، وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل ، ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ، ويلتفت إليه ، ويظن فى نفسه أنه ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه .

٣ . الدرجة العليا وهى أن يزهد الإنسان طوعاً ويزهد فى زهده فلا يرى زهده إذ لا يرى أنه ترك شيئاً إذ عرف أن الدنيا لا شىء ، فيكون كمن ترك خزفه وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركاً شيئاً "[١]

<u>هل كان شاعرنا زاهداً منذ نشأنه</u> أم فى المرحلة الأخيرة من حياته ؟

قضى أبو العتاهية زمناً كبيراً من حياته فى اللهو والمجون، وفى هذه المرحلة أنشد شعراً فى جميع الأغراض، وخاصة الغزل (ففى صباه كان يهوى سعدى مولاة عبد الله بن معن بن زائدة، وعندما قدم بغداد كانت قصته مع عتبة التى أنفق نحواً من عشرين عاماً فى التشبب بها ، والتغزل فى مفاتنها بيد أن هذه الأغراض تفرقت وتوزعت بها السبل والأيدى والأزمنة ، وفى الفترة الأخيرة من حياته، والتى تزيد على ثلاثين عاماً وقف على قول الزهد وحده[٢] .

---

[١] إحياء علوم الدين للغزالى ج٤ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ . دار المعرفة . بيروت .

[٢] تاريخ بغداد ج٧ ص٤٤٦ .

(يقول أبو العتاهية فى رواية أثرت عنه : إنه قال فى الزهد عشرين ألف بيت ، ومن شعره فى الزهد قصيدته التى بين أيدينا والتى يتحدث فيها عن: زوال الدنيا، وأهوال الموت وما يعقبه وهى من بحر الخفيف:

المنايا تجوس كل البلاد ... والمنايا تبيد كل العباد[1]

لتنالن من قرون أراها ... مثل ما نلن من ثمود وعاد

هن أفنين من مضى من نزار ... هن أفنين من مضى من إياد

هل تذكرت من خلا من بنى الأصفـ ... ـر أهل القباب والأطواد

هل تذكرت من خلا من بنى سا ... سان أرباب فارس والسواد

أين داود أين أين سليما ... ن المنيع الأعراض والأجناد

راكب الريح قاهر الجن والإنس ... م بسلطانه مذل الأعادى

أين نمرود وابنه أين قارو ... ن وهامان أين ذو الأوتاد

إن فى ذكرهم لنا لاعتبارا ... ودليلاً على سبيل الرشاد

وردوا كلهم حياض المنايا ... ثم لم يصدروا عن الإيراد

أيها المزمع الرحيل عن الدنيا ... تزود لذاك من خير زاد

لتنالنك الليالى وشيكا ... بالمنايا فكن على استعداد

أتناسيت أم نسيت المنايا ... أنسيت الفراق للأولاد؟

أنسيت القبور إذ أنت فيها ... بين ذل ووحشة وانفراد؟

أى يوم يوم السباق وإذ أنـ ... ـت تنادى فما تجيب المنادى

أى يوم يوم الفراق وإذ نفـ ... ـسك ترقى عن الحشا والفؤاد

أى يوم يوم الفراق وإذ أنت ... م النزع فى أشد الجهاد

---

(١) شرح ديوان أبى العتاهية ص٧٧ وما بعدها دار صعب بيروت .

أى يــوم يــوم الصــراخ وإذ م يلطمــن حــر الوجــوه والآســاد
باكيــات عليــك ينــدبن شــجوا خافقــات القلــوب والأكبــاد
يتجــاوبن بــالرنين ويــذرفن دموعــاً تفــيض فــيض المــزاد
أى يــوم نســيت يــوم التلاقــى أى يــوم نســيت يــوم المعــاد
أى يــوم يــوم الوقــوف إلــى اللــ ــه يــوم الحســاب والأشــهاد
أى يــوم يــوم الممــر علــى النــا ر وأهوالهــا العظــام الشــداد
أى يــوم يــوم الخــلاص مــن النــا ر وهــول العــذاب والأصــفاد
كم وكم فى القبور من أهل ملك كم وكم فى القبور من قواد
كم وكم فى القبور من أهل دنيا كم وكم فى القبور من زهاد
لو بذلت النصح الصحيح لنفسى همت أخرى الزمان فى كل واد
لو بذلت النصح الصحيح لنفسى لم تذق مقلتاى طعم الرقاد
بؤس لى بؤس ميتا يوم أبكى بين أهلى وحاضر العواد
كيف ألهو وكيف أسلو وأنسى الموت والموت رائح ثم غاد
أيها الواصلى سترفض وصلى عنك لو قد أذقت طعم افتقادى
يا طويل الرقاد لو كنت تدرى كنت ميت الرقاد حى السهاد[1]

[1] انظر الديوان ص ٧٧ وما بعدها دار صعب بيروت .

المبحث الأول

تحليل الأبيات التى تتحدث عن الموت

المنايـــا تجـــوس كـــل الـــبلاد والمنايـــا تبيـــد كـــل العبـــاد[١]
لتنـــالن مـــن قـــرون أراهـــا مثـل مـا نلـن مـن ثمـود وعـاد
هن أفنين من مضى من نزار هن أفنين من مضى من إياد

اللغة

المنايا : جمع المنية وهى الموت .[٢]
تجوس : تطوف : تبيد : تفنى وتهلك . [٣]
أفنين : قضين .
ثمود : قوم نبى الله صالح عليه السلام .
عاد : قوم نبى الله هود عليه السلام .
نزار وإياد : أسماء قبائل .[٤]

---

(١) شرح ديوان أبى العتاهية ص٧٧ وما بعدها دار صعب بيروت .
[٢] لسان العرب ج٦ ص ٤٢٨٢ .
[٣] لسان العرب ج١ ص ٣٩٤ دار المعارف .
[٤] هو : نزار بن معد بن عدنان ، جد جاهلى ، هو أبو ربيعة ومضر، يتصل به النسب النبوى، كنيته أبو إياد كانت له سيادة وثروة كبيرة . ينظر الأعلام للزركلى ج٨ ص ١٦ الطبعة الخامسة مايو ١٩٨٠م.

المعنى :

يتحدث أبو العتاهية فى هذه الأبيات الثلاثة عن الموت ، وأنه يذهب إلى كل البلاد ، ويقضى على كل العباد وأن المنية تحصل على ما تريد فى كل الأزمان مثلما قضت على القبائل القديمة العاتية الشديدة.

البلاغة

افتتح الشاعر قصيدته بذكر الموت فى قوله " المنايا " لأنه الغرض الأصلى فى القصيدة فمراده من قصيدته: تذكير الإنسان بالموت ، وما وراءه ، والاستعداد لذلك اليوم بالزهد فى الدنيا ، وتزود بالأعمال الصالحة . ففى ذلك براعة استهلال .

وجاء المسند إليه " المنايا " اسماً للدلالة على الثبوت والدوام ، فأمر المنايا فى الإنسان أمر لا يتغير بل ثابت على مر القرون.

أما المسند فقد جاء فعلا مضارعاً فى قوله " تجوس " للدلالة على تجدد هذا الأمر وحدوثه آنا إثر آن ، إذ الموت يحدث ويتجدد فى جميع الأوقات لا يفلت منه أحد .

وجاء المسند إليه معرفاً بأل فى قوله " المنايا " للإشارة بها إلى معهود فى الذهن، وأتى بها أيضاً بصيغة الجمع للتكثير وذلك لكثرة أسباب الموت ، وكثرة من يقع عليهم .

ثم يروعنا الشاعر بتصويره الخلاب الذى يأخذ الألباب حيث جعل المنايا وهى شىء معنوى شيئا حسياً ، إذ شبه المنايا بإنسان يطوف ثم حذف المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو الطواف على سبيل الاستعارة المكنية ، وهذا التصوير قد خلع على المنايا صفات حسية، وكأن المنايا إنسان يتجول ويطوف مما

يجعل الإنسان يزهد ويرتقى بإيمانه ، ويحرر نفسه من شهوات الدنيا ، لأن الموت لاحق به فى أى وقت ٠

كما أن الاستعارة حققت الإيجاز والاختصار " إذ إن الاستعارة تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ حتى يخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر ، وتجنى من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر"[١]٠

والتعبير بلفظ " كل " يدل على العموم ، فالموت شامل لكل العباد لا مهرب منه ولا مفر لأى أحد ، فيدل على حسن اختيار الشاعر لألفاظه الدقيقة المعبرة عن المعنى المراد ٠

والإضافة فى قوله " كل العباد " للتحقير من شأن الإنسان بأن مصيره إلى الفناء والزوال ٠

والتعريف باللام فى قوله " العباد " للاستغراق لأن الموت يشمل جميع الخلائق ٠

ثم يؤكد الشاعر على أن الموت لاحق بالإنسان لا محالة فجاء بأسلوب التكرار " فى لفظ " المنايا " مما يثير انتباه السامع على عدم الاغترار بالدنيا وشهواتها وملذاتها ٠

والسر البلاغى للتكرار تأكيد الإنذار والتخويف كما تلاحظ الموسيقا العذبة الرنانة فى البيت والتى طربت الأذهان وهزت الوجدان تلك الموسيقا التى حدثت بين لفظتى البلاد والعباد ٠

وجاء المسند فعلاً فى قوله " تبيد " لإفادة التجدد والحدوث لأن هذا الفعل الموت يحدث آنا إثر آن ٠

---

[١] أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى ص٤٣ تحقيق محمود شاكر مطبعة المدنى بالقاهرة ٠

ووصل بين جملة " المنايا تبيد " وجملة " المنايا تجوس" لاتفاقهما فى الخبرية لفظاً ومعنى، فبينهما التوسط بين الكمالين ٠

ثم يقول مؤكداً على ثبوت هذه الحقيقة المرة :

لتنـــالن مـــن قـــرون أراهـــا مثـل مـا نلـن مـن ثمـود وعـاد

المعنى :

يؤكد أبو العتاهية على أن الموت ينال من كل القرون كما نال من القرون القديمة، وفى ذلك العظة والعبرة ٠

البلاغة :

صَدَّر الشاعر البيت بالجملة الفعلية " لتنالن " المؤكدة باللام الموطئة للقسم ونون التوكيد الثقيلة وذلك دفعاً لإنكار المنكر مع إفادة تجدده وحدوثه آناً بعد آن ٠

وتنكير " قرون " وجمعها يوحى بكثرة القرون التى تناولها الموت، وحل بها من قديم الأزل ٠

وآثر الشاعر التعبير بالفعل المضارع " أراها " وهذا يومئ إلى أن الرؤية التى يراها الشاعر رؤية مستمرة دائمة ٠

كما يفيد استحضار صورة الموت فى ذهن المخاطب، وقد استخدم الشاعر وسيلة تعبيرية لإقناع المخاطب، وهى صورة التشبيه، حيث شبه حصول المنايا على ما تريد من القرون الحالية بحصولها على ما أرادت من قوم ثمود وعاد ٠

والقيمة الفنية لهذا التشبيه هى مقدرة التشبيه على إقناع المخاطب وذلك بإخراج الشىء المعنوى فى صورة حسية فعقد الشاعر مماثلة يجعلها وسيلة لتوضيح الصفة أو المبالغة فى إثباتها ٠

ويمضى الشاعر فى حديثه عما فعلته المنايا فى القبائل الماضية فيقول :

هن أفنين من مضى من نزار هن أفنين من مضى من إياد

البلاغة :

أتى الشاعر بالمسند إليه ضمير غيبة لأن المناسب للمقام، لتقدم مرجعه وهو قوله " المنايا " ٠

وعبر بالفعل الماضى فى قوله " أفنين " لوقوع هذا الحدث فى الزمن الماضى ٠

وعمد الشاعر إلى الإيجاز بالحذف فى قوله " نزار وإياد" فقد حذف منها المضاف والتقدير : قبيلة نزار وقبيلة إياد، والسر البلاغى للحذف العلم به مع المحافظة على الوزن الشعرى ٠

وأتى الشاعر بأسلوب التكرار فى قوله " هن أفنين " لتأكيد الإنذار والوعيد مع العظة والعبرة ٠

وكل هذا يدل على براعة الشاعر وتفننه فى اختياره لألفاظه المعبأة بالدلالة المؤدية للغرض أتم أداء ٠

ويواصل حديثه قائلاً :

هل تذكرت من خلا من بنى الأصفـ ـــر أهـــل القبـــاب والأطـــواد

هل تذكرت من خلا من بنى سا ســـان أربـــاب فـــارس والســـواد

اللغة :

خلا : مضى، يقال : خلا المكان والشىء يخلو خلواً إذا لم يكن فيه أحد ولا شىء فيه[1] ٠

---

[1] لسان العرب ج٤ ص٢٢٠٣ ٠

بنى الأصفر : هم الروم لصفرة لون الولد ، لكونه مولداً بين الحبشى والمرأة البيضاء[١] .

القباب جمع قبة وهى معروفة وقيل هى بناء من الأدم خاصة[٢].

الأطواد جمع طود ، وهو الجبل العظيم[٣] .

المعنى :

إن الموت قضى على بنى ساسان الذين كانوا يحكمون مدن فارس وقراها وكانت لهم السيادة ، فلا أثر لهم الآن ، وجعل بنى الأصفر فى زوال ونسيان على الرغم من أنهم كانوا أصحاب المبانى الضخمة .

البلاغة :

يذكرنا الشاعر بمن مضى من قبائل وشعوب زالت ولم يبق منها إلا أسماء فقط ، معتمداً فى ذلك على أسلوب التقرير، ليكون أقرب إلى الإقناع بأن الموت لاحق بكل شىء وعلينا الاستعداد التام له، ففى قوله "هل تذكرت" أسلوب إنشائى جاء فى صورة الاستفهام المراد منه تقرير المخاطب بأن الموت لاحق بكل الأمم، ويحتمل أن يكون المراد منه التوبيخ على عدم الاستعداد لما بعد الموت .

والخطاب فى قوله " تذكرت " لغير معين ليفيد العموم والشمول أى كل من يتأتى منه الخطاب .

وجئ بالمفعول اسماً موصولاً عاماً "من" بقصد إبراز معنى مهم فى الصلة

---

[١] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ، تحقيق : حسان عباس ١٢٦/٦ ، دار صادر بيروت ١٩٠٠م ، البداية والنهاية لابن كثير ج١٩٣/١ مكتبة المعارف . بيروت .

[٢] لسان العرب ج٥ ص ٣٥٠٧ .

[٣] المرجع السابق ج٤ ص ٢٧١٧ .

وهو الخلو . أى المضى والذهاب . الذى يفيد هنا فى إخفاء معنى الشمول والعموم على كل من خلا من بنى الأصفر وهم الروم ولا يتأتى هذا المعنى لو ذكر فى موضع اسم الموصول اسماً علماً فقيل مثلاً : هل تذكرت فلاناً وفلاناً وفلاناً من بنى الأصفر ، فضلا عما فى التعبير باسم الموصول " من " من الإيجاز والاختصار فى الكلام ٠

وتلاحظ الإضافة فى قوله " أهل القباب والأطواد " وإفادتها التعظيم الذى يدل على أن الإنسان مهما علت مكانته وارتفعت منزلته إلا أنه لا يهرب من الموت ٠

وعبر بالجمع فى قوله " القباب والأطواد " للتكثير ، وذلك لكثرة ما كان لديهم من القباب الأطواد وغيرها من وسائل الغنى والترفيه ٠

وكرر الشاعر قوله " هل تذكرت " للتنغيم الموسيقى إلى جانب الاستفهام التقريرى ٠

ثم يعود الشاعر ويسأل نفسه وغيره عن أنبياء الله . عليهم الصلاة والسلام . فيقول:

أين داود أين أين سليما ن المنيع الأعراض والأجناد

راكب الريح قاهر الجن والإنس م بسلطانه مذل الأعادى

اللغة :

داود : نبى الله داود عليه السلام ٠

سليمان : نبى الله سليمان عليه السلام ، وهما من أنبياء بنى إسرائيل ٠

الأعراض : جمع عرض ، والعرض : ما يفتخر به الإنسان من حسب وشرف وقيل : الآباء والأجداد[1]

[1] تاج العروس من جواهر القاموس ج٥ ص ٤٥ للزبيدى ٠

الأجناد : جمع جندى وهو العسكرى أو الحارس[١]

المعنى :

يلفت الشاعر عقول وأنظار السامعين إلى العظة والعبرة مما حدث لأنبياء الله عليهم السلام فنبى الله داود الذى جعله الله خليفة فى الأرض قد مات ولحقه الفناء ، وقد مات أيضاً ابنه نبى الله سليمان الذى أوتى ملكاً كبيراً لم يكن مثله لأحد من بعده، وقد جعله الله . سبحانه وتعالى . متحكماً فى الريح والجن والإنس ، وكان منصوراً على الأعداء فى كل حرب خاضها ٠

البلاغة :

صدر الشاعر بيته بأسلوب الإنشاء الذى جاء فى صورة الاستفهام الذى خرج عن معناه إلى التعجب ، ويحتمل التوبيخ والتقرير حتى يصل بالسامع إلى الاعتراف بأنه . لا محالة . ميت ، فعليه عدم الاغترار بالدنيا وشهواتها ٠

ويلاحظ إكثار الشاعر من أسلوب التكرار فى قوله "أين . أين سلميان " للاتعاظ من أحوال السابقين ٠

وفى جمع " الأعراض والأجناد " إيحاء بالكثرة، وهى تغذى المعنى المراد، وهو موت نبى الله سليمان . عليه السلام . مع كثرة جنوده وأعراضه ولم يستطع أحد منهم أن يدفع عنه الموت ٠

وفصل الشاعر بين عدة جمل ، ففصل جملة " راكب الريح" عن جملة " المنيع الأعراض والأجناد " ٠

وجملة " قاهر الجن والإنس " عن جملة " راكب الريح "

---

[١] لسان العرب ج١ ص ٦٩٨ ، دار المعارف ٠

وجملة " م بسلطانه مذل الأعادى " عن جملة " قاهر الجن والإنس" لعدم المناسبة بينها ، فهى صفات متعددة لموصوف واحد، وهو سيدنا سليمان . عليه السلام . وليس بينها تناقض فالأفضل إيرادها بدون عاطف، وذلك كقوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾[1] . فبينها كمال الانقطاع الذى يقتضى الفصل بين الجمل.

وذكر الشاعر لهذه الصفات متوالية متتابعة تثبت فكرة الموت عند المقبل على الدنيا ، المنصرف عن الآخرة ، وتؤكد أنه لابد منه طال العمر أم قصر .

ثم يسوق ما يدل على ذلك من أدلة وشواهد فيقول :

أين نمرود وابنه أين قارو ن وهامان أين ذو الأوتاد

اللغة :

نمرود : هو الملك الذى لم يؤمن بسيدنا إبراهيم عليه السلام.

قارون : هو الرجل الذى كان غنيا فى عهد موسى وهو من قومه ولم يؤمن بالله فخسف الله به وبداره الأرض .

هامان : وزير فرعون ، وهما من أعلام القرآن .

الأوتاد : جمع وتد والوتد والوتد وقد وتدته أيده وتدا ، والوتدان من الأذن تشبيها بالوتد للنتو فيهما[2]

المعنى :

---

[1] التحريم آية ٥ .

[2] المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى مادة (وتد) ص٥١١ تحقيق محمد سيد كيلانى ، ط دار المعرفة . بيروت . بدون تاريخ .

إن الجبابرة قد ماتوا وهم . على سبيل المثال . النمرود وقارون وهامان وغيرهم ٠

البلاغة :

جاء كلامه على صورة الاستفهام المراد به الاعتبار والعظة ٠

ويلاحظ إيثار الشاعر لأسلوب التكرار فى قوله "أين ، أين، أين" وذلك لتأكيد الاتعاظ ٠

وجاءت هذه الجملة مفصولة عما قبلها مع أنهما انشائيتان ؛ لعدم المناسبة بينهما، حيث لا يوجد ما يسوغ عطف الجملة الثانية على الأولى مع وجود المناسبة العامة وهى العظة والعبرة فبينهما كمال الانقطاع ٠

وفى قوله : " ذو الأوتاد " اقتباس[١] من القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ [٢] ٠ وهذا يدل على إيمان الشاعر وقوة علاقته بكتاب الله عز وجل ٠

ثم بين الشاعر السبب الذى من أجله ذكر أسماء الأنبياء . عليهم السلام . وأسماء القبائل فقال :

إن فى ذكرهم لنا لاعتبارا ودليلاً على سبيل الرشاد

صدر الشاعر بيته بالجملة الاسمية فى قوله "إن فى ذكرهم " المؤكدة بـ" إن " واللام للإشعار بدوام هذا الحكم، وهو كون ذكرهم عبرة وعظة، مع ما فى التوكيد من إزالة الإنكار الشديد للمخاطب لهذا الحكم ٠

وهذا التعبير يوحى بأن شاعرنا ذو نفس لوامة، وضمير معذب٠

---

[١] وهو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث النبوى ينظر شرح التلخيص ج٤ ص ٤٠٩ دار السرور . بيروت ٠

[٢] سورة الفجر آية ١٠ ٠

ويلاحظ التقديم والتأخير فى البيت، إذ الأصل أن يقال: إن اعتباراً لنا فى ذكرهم، فقدم المسند " فى ذكرهم " للاهتمام بشأن المقدم وهو كون ذكرهم سبباً للاعتبار ٠

وقدم الجار والمجرور " لنا " على متعلقه " لاعتبارا " للاهتمام به إذ المقصود من الذكر هو العظة والعبرة للمتكلم ٠

والتقديم والتأخير باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضى بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد أن سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شىء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان "[١]

وجاءت جملة " إن فى ذكرهم " بدون حرف العطف، لأنها جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً : كأن سائلا سأل: ما الفائدة من ذكر هؤلاء ؟

فأجيب بقوله : إن فى ذكرهم لنا لاعتباراً ، فبينهما شبه كمال الاتصال[٢]

ووصل بين جملة " ودليلاً على سبيل الرشاد " وجملة "إن فى ذكرهم لنا لاعتبارا " لقصد التشريك فى الحكم الإعرابى ٠

وأخيراً : يخبرنا الشاعر عن نهاية ومصير هؤلاء القبائل والملوك الجبابرة فقال :

وردوا كلهم حياض المنايا ثم لم يصدروا عن الإيراد

---

[١] ينظر : دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى ص ١٠٦ تحقيق محمود شاكر مكتبة الخانجى بالقاهرة ٠

[٢] شبه كمال الاتصال إذا كانت الثانية جواباً لسؤال اقتضته الأولى فينزل منزلته فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال ٠ ينظر شروح التلخيص ج٣ ص ٥٣ دار السرور بيروت ٠

اللغة :

لم يصدروا : لم يرجعوا ٠

المعنى :

إن هؤلاء الطغاة والجبابرة قد شربوا من كأس الموت، وحوض المنية ، فلم يرجعوا، لأنهم قد ماتوا وانتهوا ٠

وعبر الشاعر بالفعل الماضى فى قوله " وردوا " لوقوع الحدث فى الزمن الماضى ٠

ثم أتى بلفظ " كل " بعد واو الجماعة فى " وردوا "، لإفادة العموم بأن الموت لن يتفلت منه أحد ، بل هو شامل للبشر جميعا ٠

والجمع فى " حياض " للكثرة باعتبار كثرة من يرد هذه الحياض ٠

وفى قوله " حياض المنايا " صورة بيانية وهى الاستعارة الرائعة التى أخرجت الشىء المعنوى المعقول فى صورة حسية، فقد شبه المنايا بالمياه ، فى ضروريته وحذف المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه، وهو تخزينها فى أحواض أو حياض على سبيل الاستعارة المكنية ٠

والاستعارة باب من أبواب علم البيان " ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان ـ أبداً ـ فى صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلاً ، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد، حتى تراها مكررة فى مواضع، ولها فى كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة وخلابة مموقة"[١]

---

[١] أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى ص٤٢ تحقيق محمود شاكر مطبعة المدنى الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م٠

وبعد أن ذكر أبو العتاهية أن الموت لاحق بكل إنسان مهما طال عمره اتجه إلى الوعظ والنصح قائلاً :

أيها المزمع الرحيل عن الدنيا تزود لذاك من خير زاد

اللغة :

المزمع : المسرع .

المعنى :

يا ابن آدم أنتم تسرعون إلى الموت ، فانتبهوا إلى أن تتزودوا بالتقوى، فهى خير زاد ٠

البلاغة :

بدأ الشاعر البيت بالنداء، للتنبيه على عظم الأمر الذى سيلى النداء فتوقظ النفس ويشحذ الوجدان، فيتهيأ الوجدان لاستقبال هذا الأمر العظيم ٠

وآثر الشاعر نداءه بـ " يا " دون غيرها من سائر أدوات النداء وذلك للإشعار بأن المنادى شخص بعيد لطول غفلته وبعده عن الله عز وجل !

والأمر فى قوله " تزود " خرج عن معناه الحقيقى إلى لنصح والإرشاد ٠

وآثر الشاعر اسم الإشارة للبعيد فى قوله " لذاك " لتعظيم المشار إليه بالبعد تنزيلاً لبعد المنزلة منزلة بعد المكان، فالشاعر يريد أن يقول : استعد أيها الغافل بالأعمال الصالحة وازهد فى الدنيا استعداداً للموت وإن بعد ٠

وفى البيت اقتباس من قول الله عز وجل : ﴿ **وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾ [1] ٠

وهذا يدل على صلة الشاعر بالله عز وجل وحفظه لكتابه العزيز ٠

---

[1] البقرة بعض الآية ١٩٧ ٠

ثم وضح شاعرنا السبب الذى من أجله يتزود الإنسان بالأعمال الصالحة فيقول :

لتنالنـــك الليـــالى وشـــيكا بالمنايـا فكـن علـى اسـتعداد

اللغة :

وشيكا : قريباً ،سريعا ومثلها : وشك يوشك أن يكون كذا أى يقرب ويدنو[1]

المعنى :

أيها الإنسان، إن الليالى سوف تحصل منك على بغيتها بافنائك فاستعد لليوم الآخر ولقاء الله عز وجل ٠

البلاغة :

جاء الخبر فى قوله " لتنالنك " مؤكداً باللام المؤكدة، ونون التوكيد وذلك لتأكيد المعنى الذى يقصده الشاعر، وهو أن الموت لاحق بالإنسان لا محالة ، بالإضافة إلى أن التوكيد بأكثر من مؤكد يزيل ما فى ذهن المخاطب من الإنكار الشديد ٠

وفى قوله :" لتنالنك الليالى " إسناد إلى غير ما هو له حيث أسند النيل إلى الليالى وهى ليست الفاعل الحقيقى ، والفاعل الحقيقى هو الله عز وجل، والليالى زمن له ، فهو مجاز عقلى، علاقته الزمانية "٠

وهذا الضرب من المجاز على حدته كنز من كنوز البلاغة ، ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ فى الإبداع والإحسان والاتساع فى طرق البيان وأن يجئ

[1] لسان العرب ج١٢ ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ٠

بالكلام مطبوعاً مصنوعاً ، وأن يضعه بعيد المرام، قريباً من الأفهام "[1]

وتنكير " وشيكا " يشعر بالتقليل ، وهذا التعبير يوحى بأنه فى أسرع وقت يمكن أن يموت الإنسان ، فكأن هذا التنكير وسيلة من وسائل الاعتبار والاتعاظ ٠

وفصل الشاعر بين قوله " تزود " وقوله " لتنالك " لاختلافهما خبراً وإنشاءً فالأولى " تزود " جملة إنشائية لفظاً ومعنى والثانية "لتنالك" جملة خبرية لفظا ومعنى فبينهما إذن كمال الانقطاع وليس فى الفصل ما يوهم خلاف المقصود

والأمر فى قوله " فكن على استعداد " خرج إلى معنى النصح والإرشاد، ومعناه استيقظ أيها الإنسان من غفلتك واستعد لما بعد الموت من الحساب والجزاء ٠

وفى البيت أيضاً إيجاز قصر حيث جاء بالألفاظ القليلة التى تحمل فى طياتها معانى كثيرة ٠

ويواصل الشاعر حديثه عن الموت وما يحدث بعده من فراق للأولاد ، ووحشة فى القبور وانفراد فيها ، فيقول:

أتناسيت أم نسيت المنايا أنسيت الفراق للأولاد؟

أنسيت القبور إذ أنت فيها بين ذل ووحشة وانفراد؟

المعنى :

لا تنس يا ابن آدم القبر حينما تموت وتفارق أولادك وتصير إلى الوحدة والذل والانفراد ٠

البلاغة :

---

[1] دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى ص٢٩٥ تحقيق محمود شاكر مطبعة المدنى الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ٠

بدأ الشاعر بيته بالاستفهام فى قوله " أتناسيت؟ " الذى خرج عن معناه الحقيقى إلى التوبيخ ، فهو يوبخ الإنسان على تناسيه الموت وهو واقع نصب عينيه فى كل حين ٠

والتعبير بقوله " تناسيت " يزيد من معنى التوبيخ ويؤكده ، فإن الإنسان يحاول تناسى ما يحدث أمامه للآخرين، من موت وفراق فى كل حين٠

وهذه اللفظة تدل أيضاً على المبالغة فى النسيان، لأن زيادة المبنى غالباً ما تدل على زيادة المعنى ٠

وفى قوله " نسيت المنايا " مجاز عقلى، لأنه أسند النسيان إلى المنايا وليست هى الفاعل الحقيقى، والمراد أثر المنايا، وما تحدثه فى الإنسان ٠

والاستفهام فى قوله " أنسيت الفراق للأولاد ؟ للتوبيخ أيضاً، لأن الإنسان لا ينسى أبداً أن الموت يفرق بينه وبين أعز شىء لديه، وهم أولاده ، فعليه الاستعداد له بالزهد فى الدنيا بعمل الطاعات، والبعد عن المعاصى ٠

وجاء الاستفهام فى قوله " أنسيت القبور " للتوبيخ أيضاً فأراد الشاعر أن يوبخ الإنسان على نسيانه القبر وما يحدث فيه من وحشة وعزلة ودود وغيرها ٠ لأن هذه الأشياء لا ينبغى أن تنسى ٠

وجاء التعبير بضمير المخاطب فى قوله " أنت " مناسباً للمقام لأن المقام للمخاطب ٠

وقوله " بين ذل ووحشة وانفراد " من قبيل عطف المفردات لما بينها من المناسبة، فجميعها صفات تحدث للميت فى قبره٠

والتنكير فى قوله " وحشة وذل " للتكثير ، فالميت فى قبره فى ذل ووحشة كبيرين لا أنيس ولا جليس إلا عمله المصاحب إن خيراً فخير وإن شراً فشر٠

وجاء التكرار للنسيان وألفاظه فى قوله " أتناسيت أنسيت أنسيت؟ لسر بلاغى هو تأكيد الوعيد والإنذار ٠

ثم يكمل الشاعر حديثه عما يحدث للإنسان حين خروج روحه فقال:

أى يـوم يـوم السـباق وإذ أنــ ـت تنـادى فمـا تجيـب المنـادى

أى يـوم يـوم الفـراق وإذ نفــ ـسك ترقـى عن الحشـا والفـؤاد

أى يـوم يـوم الفـراق وإذ أنـت م النـــزع فـــى أشـــد الجهـــاد

اللغة :

يوم السباق : يوم الموت ٠

يوم الفراق : يوم الموت أيضاً ٠

ترقى : تعلو وتصعد[١]

المعنى :

إن يوم الموت يوم عظيم خطره، إذ ينادى الميت فلا يجيب، وتضطرب نفسه ، ويخفق قلبه ، وتزداد خطورته عندما يأتى ملك الموت لنزع روحه ٠

البلاغة :

يبدأ الشاعر أبياته بالأسلوب الإنشائى الذى جاء فى صورة الاستفهام الخارج عن معناه الحقيقى إلى معنى مجازى هو : التعظيم٠

والتعبير بضمير المخاطب فى قوله " أنت " لأن المقام مقام خطاب ٠

وجاء تعبير الشاعر بالفعل المضارع فى قوله " تنادى " لاستحضار الصورة فى ذهن المخاطب ، فيتخيل الإنسان نفسه على فراش الموت ، ومن حوله ينادونه فلا يجيبهم ، وفى ذلك : الموعظة الكافية بالترغيب فى الطاعة والترهيب من

[١] لسان العرب ج٣ ص١٧١١ دار المعارف ٠

المعصية .

وفى تعبير الشاعر عن يوم الموت بيوم الفراق صورة بيانية فى غاية الدقة هى : المجاز المرسل[1] علاقته المسببة فالفراق مسبب عن الموت ، فالموت يفرق بين الأحبة ، وهو أمر ما فيه ، والمجاز المرسل يساعد على الاتساع فى اللغة ، فهو وسيلة من وسائل إثراء الألفاظ اللغوية ، ووسيلة تساعد على الافتنان فى التعبير ؛ لتكثر معانى الألفاظ ، وليكثر الالتذاذ بها ، فإن لكل معنى به لذة وله إلى فهمه ارتياح وحبوة ، ولذلك كثر المجاز فى لغة العرب ثم جاء الاستفهام فى قوله " أى يوم يوم الفراق " للتعظيم .

والإضافة فى " نفسك للتخصيص ، لأن هذا الأمر يخص المخاطب .

وأوثر التعبير بالفعل المضارع فى قوله " ترقى " وذلك للإشعار بتجدد وحدوث بلوغ الروح الحلقوم وقت الموت .

والتعريف باللام فى قوله " الحشا والفؤاد " للعهد الذهنى ، أى الحشا والفؤاد المعروفين للمخاطب .

وعطف الحشا " على " الفؤاد " لما بينهما من المناسبة وهو أن الروح ترقى عنهما معاً وقت الموت .

وفى قوله :

أى يوم يوم الفراق وإذ أنت م النزع فى أشد الجهاد

افتتح الشاعر بيته بأسلوب الاستفهام الذى خرج إلى التعظيم، ويحتمل التعجب ، لتعجب الشاعر من حال ابن آدم كيف ينسى الموت ومنا يحدث فيه وقت نزع الروح وهو فى غاية التعب والمشقة .

---

[1] ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير تشبيه ينظر : شروح التلخيص ج٤ ص ٣٢ دار السرور .

واستخدم الشاعر أسلوب التكرار فى قولـه " أى يـوم ٠٠ يـوم" وذلك للاتعاظ والاعتبار ليكون أبلغ تأثيراً وأشد تخويفاً ٠

وفى الإتيان بضمير المخاطب " أنت " مناسبة للمقام ، وهذا يدل على دقة الشاعر فى اختياره لألفاظه المناسبة فى التعبير عن المعنى المناسب ٠

وفـى قولـه " م النـزع " حـذف للمضـاف إليـه والتقـدير : نـزع الـروح، والسـر البلاغى تعيينه والعلم به ؛ لأنه لا ينزع من الإنسان عند الموت إلا الروح ٠

ويلاحظ أن الشاعر قد أكثر من ذكر الأدلة على الفناء، وما بعده من عدم إجابة من يخاطبونه ، ونزع روحه وهو فى غاية المشقة وفراقه لأحبته ، وفى ذلك من العبرة والعظة ما فيه ، فعلينا جميعاً الاستعداد لهذا اليوم ، وهذه اللحظات، وذلك بالزهد فى الدنيا وعمل الصالحات ٠

وبعد أن ذكر الشاعر الموت وما يفعله فى الإنسان انتقل إلى الحديث عن: أهل الميت وأحبته ، وما يقاسونه من آلام الفراق والحزن الشديد فيقول :

أى يـوم يـوم الصـراخ وإذ م يلطمـن حـر الوجـوه والآسـاد
باكيـات عليـك ينـدبن شـجوا خافقـات القلـوب والأكبـاد
يتجـاوبن بـالرنين ويـذرفن دموعـاً تفـيض فـيض المـزاد

اللغة :

اللطم : ضرب الخد وصفحة الجسد ببسط اليد[١]

الآساد : ضرب من الثياب[٢]

الندب : ندب الميت أى : بكى عليه وعدد محاسنه[٣]

---

[١] تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى ج٩ ص ٦٠ ٠

[٢] لسان العرب ج١ ص ٧٧ ٠

[٣] المرجع السابق ج٦ ص ٤٣٨٠ ٠

شجواً : حزنا[١]

خافقـات : الخفـق : اضـطراب الشـيء ، وكـذلك القلـب ، والسـراب إذا اضطرب[٢] ، والمعنى مضطربات القلوب ٠

يتجاوبن : يتحاورن[٣]

المعنى :

تذكر أيها الإنسان اليوم العظيم وهو يوم الموت . عندما يندب أهل الميت ميتهم ، ويلطمون وجوههم ورقابهم وتضطرب قلوبهم وأكبادهم من الحزن الشديد ٠

البلاغة :

يستمر الشاعر فى التعبير عن مصير الإنسان بأسلوب التكرار لما فى ذلك من العظة والعبرة ٠

وفى التعبير بالمضارع فى قوله " يلطمن " دلالة على تجدد هذا الحدث ، منهن آنا إثر آن ٠

والجمع فى قوله " الوجوه " والآساد " للتكثير ، وذلك مراعاة للمعنى ، وهو كثرة الباكيات من أهل الميت ٠

وفى قوله " يوم الصراخ " تعبير بيانى جميل حيث عبر عن الموت بيوم الصراخ لعلاقة بينهما ، فهو مجاز مرسل ، علاقته : السببية فالصراخ مسبب عن الموت ٠

وفى حذف المسند من قوله " باكيات " والتقدير تذكر " مطابقة للمقام ، فالمقام فيه ضجر وضيق ، مما يحدث وهذا أدعى للحذف ، بل الحذف فيه أولى من الذكر ٠

---

[١] لسان العرب ج٤ ص ٢٢٠٣ ٠

[٢] المرجع السابق ج١ ص ٧١٦ دار المعارف ٠

[٣] لسان العرب ج٢ ص ١٢١٣ ٠

والتعبير بالمضارع فى قوله " ينـدبن " للدلالـة علـى استمرار وتجدد هذا الحدث ، وصدوره منهن آنا إثر آن ٠

يقول السكاكى : وأما الحالة المقتضية لكونـه فعلاً إذا كان المراد تخصيص المسند بأحد الأزمنة على أخصر ما يمكن مع إفادة التجدد[١]

وفصل بين جملة " خافقات القلوب " و"باكيات عليك" مع أنهما خبريتان لما بينهما من كمال الانقطاع ، فهى صفات لموصوف واحد " أهل الميت من النساء، وليس بينها تناقض ، ولذلك حسن الفصل ٠

والجمع فى " خافقات " للتكثير ، وذلك لكثرة من تضطرب قلوبهن لهذا الحدث ٠

ووصل بين قوله " ويذرفن " و " يتجاوبن " لما بينهما من المناسبة، فكلاهما جملة خبرية لفظا ومعنى فبينهما : التوسط بين الكمالين ٠

وعبر بالمضارع فى قوله " يتجاوبن ويذرفن " للدلالة على استحضار الصورة فى ذهن المخاطب مع الدلالة على تجدد حدوث هذا الفعل منهن فى كل حين ٠

وفى تنكير " دموعاً " وجمعها للدلالة على التكثير ٠

وجاء الشاعر فى قوله " تفيض فيض المزاد " بصورة تشبيهية جميلة ، حيث شبه زيادة الدموع وغزارتها بزيادة الماء عندما يصب كثيراً فى المزاد وهى " قربة الماء" وهو تشبيه بليغ ، وهو أقوى أنواع التشبيه ، لأنه مبنى على الاتحاد بين الطرفين " ٠

والتشبيه يزيد المعنى وضوحاً ، ويكسبه تأكيداً ، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه، وقد جاء عن

---

[١] مفتاح العلوم ص ٢٠٨ ضبط وكتب هوامشه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية بيروت ٠

القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان[١]

وكما ترى فى الأبيات كلها العظة والعبرة بالاستعداد لما يحدث للإنسان بعد انتهاء حياته ، فعليه الزهد فى الدنيا ، وعدم الاغترار بملذاتها وشهواتها ، لأنها فانية مهما طال عمر الإنسان فيها ٠

[١] ينظر : الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ٢٦٥ حققه وضبط نصه د/ مفيد قميحه دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ٠

المبحث الآخر

الأبيات التى تتحدث عن اليوم الآخر

ولقاء الإنسان ربه ـ عز وجل ـ

يقول أبو العتاهية :

أى يـوم نسـيت يـوم التلاقـى أى يـوم نسـيت يـوم المعـاد
أى يـوم يـوم الوقـوف إلـى اللـ ـه يـوم الحسـاب والأشـهاد
أى يـوم يـوم الممـر علـى النـا ر وأهوالهـا العظـام الشـداد
أى يـوم يـوم الخـلاص مـن النـا ر وهـول العـذاب والأصـفاد

اللغة :

يوم التلاقى : اليوم الآخر وسمى بذلك لأنه لا ليل بعده ٠
الأشهاد : الحضور ٠
الأهوال : الفظائع ٠
الأصفاد : الحبال التى يوثق بها ويغل[١]

المعنى :

كيف تنسى يا ابن آدم يوم القيامة ؟ إنه يوم الميعاد ، يوم الحساب، إنه يوم عظيم ، يوم يحاسبك الله ـ عز وجل ـ على كل ما قدمت ، يوم يمر ابن آدم على النار وفظائعها ٠

[١] لسان العرب ج٤ ص ٢٤٥٧ دار المعارف ٠

البلاغة :

يبدأ أبو العتاهية هذه الأبيات بالاستفهام الخارج عن حقيقته إلى: التوبيخ فى قوله " أى يوم نسيت يوم التلاقى ؟ " أى يوم نسيت يوم المعاد " ؟ ٠

أما الاستفهام فى قوله : " أى يوم يوم الوقوف إلى الله " و"أى يوم يوم الممر على النار و " أى يوم يوم الخلاص فهو للتعظيم ، لعظم هذا اليوم ، وعظم ما يحدث ، فهذه الأشياء ينبغى ألا تنسى ، ونسيانها يجعل الإنسان فى غفلة وعدم استعداد مع هولها وعظمها ٠

وجاء التعبير بالماضى فى قوله " نسيت " للدلالة على وقوع هذا الحدث فى الزمن الماضى ٠

والتنكير فى قوله " يوم " يفيد التعظيم أى أن أى يوم أعظم من يوم القيامة ، يوم وقوف العبد بين يدى خالقه ؟

وفصل الشاعر بين الأبيات الثلاثة لأنها للعظة والعبرة والتخويف من المعصية وليس بينها مناسبة توجب العطف ، فبينها شبه كمال الانقطاع ٠

وأتى التكرار لأسلوب الاستفهام فى قوله " أى يوم " لتأكيد الإنذار والوعيد، والتخويف من الموت ، والاستعداد لليوم الآخر ٠

ثم ينتقل أبو العتاهية إلى تعداد ما احتوته القبور من بشر فقال:

كم وكم فى القبور من أهل ملك كم وكم فى القبور من قواد

كم وكم فى القبور من أهل دنيا كم وكم فى القبور من زهاد

اللغة :

قواد : جمع قائد ٠

زهاد : جمع زاهد ، وهو : الراغب عن الدنيا غير الحريص عليها ٠

المعنى :

يخبرنا الشاعر أن الموت لاحق بالبشر جميعاً لا يفر منه ملك ولا قائد ، فالقبور ممتلئة بهؤلاء وغيرهم ، سواء من أهل دنيا أو راغبا عنها ٠

البلاغة :

يفتتح شاعرنا أبياته بالأسلوب الخبرى فى قوله " كم وكم " وقد خرج عن معناه الحقيقى إلى التكثير لمزيد من العظة والعبرة٠

ووصل بين قوله " كم " الأولى على " كم " الثانية فى البيتين أكثر من مرة لاتفاقهما فى الخبرية لفظا ومعنى فبينهما التوسط بين الكمالين ٠

وفى الأبيات إطناب بالتكرار فى قوله " كم وكم " لتأكيد العظة والعبرة ٠

وجاء لفظ " القبور " معرفاً بأل للعهد الذهنى والجمع فيها للتكثير ٠

والتنكير فى قوله " قواد " للتكثير ، أى قواد كثيرون ضمتهم القبور ٠

وقد أكثر أبو العتاهية من ظاهرة التكرار فى قصيدته ففى هذين البيتين كرر قوله " كم وكم فى القبور " أربع مرات ، ولعل السر فى ذلك تأكيد العظة والعبرة ، والتكرير إطناب لتقرير المعنى فى النفس٠

ثم يرجع الشاعر ويعاتب نفسه ويلومها على ما صدر منها فقال:

لو بذلت النصح الصحيح لنفسى لم تذق مقلتاى طعم الرقاد

لو بذلت النصح الصحيح لنفسى همت أخرى الزمان فى كل واد

بؤس لى بؤس ميتا يوم أبكى بين أهلى وحاضر العواد

اللغة :

همت : خرجت على وجهى[1]

[1] تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى ج٩ ص ١١٢ ٠

المعنى :

يلوم الشاعر نفسه فى أنه لم يقدم لها نصحاً خالصاً فهى تلعب وتلهو ، وأنه لو قدم لها النصح ما ذاقت طعم النوم ولخرجت هائمة فى كل الوديان ٠

البلاغة :

تجد الاستعارة اللطيفة التى تجسد المعنى وتخرجه فى صورة حسية ففى قوله " لم تذق مقلتاى طعم الرقاد " استعارة مكنية ، حيث شبه الرقاد بالطعام ، وحذف المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو الطعم ، وعبر بقوله " تذق " ليلائم المستعار منه " الطعام " فهى استعارة مرشحة[١]

وفى قوله " لم تذق مقلتاى طعم الرقاد " كناية عن عدم النوم إطلاقاً ، والكناية تضع لنا المعانى فى صورة المحسات ، فيدركها العقل بسهولة ويسر ، هذا بالإضافة إلى أنها تؤكد المعنى وتثبته فى نفس السامع ؛ لأنها تأتى به مصحوباً بالدليل وتذكره مشفوعاً بالشاهد، ولا شك أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد فى وجودها آكد وأبلغ فى الدعوى من أن تجئ إليها فتثبتها هكذا عارية عن التوكيد ٠

وفصل بين جملة " همت أخرى الزمان " عن جملة " لو بذلت النصح الصحيح " لما بينهما من شبه كمال الاتصال ، فالجملة الثانية جواب لسؤال نشأ من الجملة الأولى ، فكأن سائلا سأل : ماذا يحدث لو بذلت النصح الصحيح ؟ فأجيب بقوله : همت أخرى الزمان فى كل واد ٠

وفى قوله : همت أخرى الزمان فى كل واد " كناية عن الحيرة والاضطراب ٠

---

[١] وهى التى قرنت بما يلائم المستعار منه ، ينظر شروح التلخيص ج٤ ص١٣٠ ، دار السرور ، بيروت ٠

ثم يذكر الشاعر سبباً آخر يلوم نفسه عليه وهو: حياة اللهو التى عاشها ونسيانه الموت فيقول :

كيف ألهو وكيف أسلو وأنسى الموت والموت رائح ثم غاد

صدر الشاعر بيته بالاستفهام الإنكارى التوبيخى ، أى ما ينبغى أن ألهو وأنسى الموت ، وهو أمام أعيننا يروح ويغدو ٠

وكرر أسلوب الاستفهام فى قوله " كيف ألهو وكيف أسلو" ؟ لزيادة الردع والزجر مع الإنذار والوعيد ٠

ووصل الشاعر بين جملة " كيف أسلو " و "كيف " ألهو " لاتفاقهما فى الإنشائية لفظا ومعنى ، فبين الجملتين توسط بين الكمالين ٠

وفى قوله " رائح وغاد " طباق إيجاب ، وهذا الطباق قد أوضح المعنى ، وهو حس الشاعر ويقينه الصادق فى أن الموت لا مفر منه ولا مهرب ٠

وفى وصف الموت بالرواح والغدو فى قوله " رائح وغاد " استعارة مكنية، حيث شبه الموت بالإنسان يذهب ويجئ ، ثم حذف المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو : الرواح والغدو ٠

والتعبير بالجملة الاسمية فى قوله " رائح وغاد " للدلالة على استمرار ودوام حدوث الموت ، وأن الرواح والغدو شىء ملازم له لا يفارقه ، ثم يقول :

أيها الواصلى سترفض وصلى عنك لو قد أذقت طعم افتقادى

المعنى :

ينادى أبو العتاهية من يصلونه من أهله ومحبيه ويخبرهم بأنه سيرفض وصله إذا علم مرارة الفراق ٠

البلاغة :

استخدم الشاعر أسلوب النداء فى قوله " أيها الواصلى " إلا أنه حذف الأداة ، والتقدير : " يا أيها " لسر بلاغى وهو : ضيق صدر الشاعر وما يحسه من ضجر وتوجع ٠

ويلاحظ التصوير فى قوله " أذقت طعم افتقادى " حيث شبه الإحساس المؤلم نتيجة الموت بما يدرك من الطعم المر بجامع المرارة فى كل ، واستعارة الطعم المر للأثر الذى يتركه الموت فى النفوس وذكر الإذاقة يلائم الطعم فهى استعارة مرشحة ٠

وآثر الشاعر التعبير بالمبنى للمجهول فى قوله " أذقت" وأضمر الفاعل وهو لفظ الجلالة سبحانه وتعالى لصونه عن الألسنة تعظيماً له ٠

وإضافة " الافتقاد " إلى ضمير المتكلم فى قوله " افتقادى " يشعر بالاختصاص مع الشفقة والاستعطاف ، وكأن هذه الإضافة تقوم مقام الدعاء فى إثارة الشفقة والحنو للحصول على عطف الله ـ سبحانه وتعالى ـ ورحمته ٠

ثم يختم الشاعر قصيدته بقوله :

يا طويل الرقاد لو كنت تدرى كنت ميت الرقاد حى السهاد

اللغة :

السهاد : نقيض الرقاد ٠

البلاغة :

اختتم شاعرنا حديثه عن الموت والزهد فى الدنيا بالنداء فى قوله " يا طويل الرقاد " وذلك للتنبيه على أن الأمر الآتى أمر عظيم مهم ، يجب الالتفات إليه والتنبه له ، وآثر نداءه " بـ"يا" دون سائر أدوات النداء وذلك لإظهار أن المنادى شخص بعيد عن الحضرة فهى المناسبة للمقام ٠

وفى قوله " لو كنت تدرى " إيجاز بالحذف ، حيث حذف مفعول " تدرى" ، وتقديره : أن هذا حالك ، أو أن مصيرك هكذا ٠

والسر البلاغى فيه : الإيجاز والاختصار ٠

وفصل الشاعر بين قوله " كنت ميت الرقاد " وقوله " حى السهاد" لأنها صفات سيقت على نمط التعديد ، وليس بينها مناسبة توجب العطف ، فبينها شبه كمال الانقطاع وبين قوله " ميت" و"حى" طباق يوضح المعنى ويقويه ويؤكده فى ذهن السامع ٠

وواضح ما فى البيت من المقابلة الرائعة بين قوله "ميت الرقاد" و"حى السهاد" مقابلة اثنين باثنين ، وهذه المقابلة أدت إلى تمام المعنى والوفاء بالغرض٠

الخاتمة

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على النبى المجتبى سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى ،

وبعد ،،،

فهذا بحثى ، وذاك جهدى ، الذى بذلته فى أيام وليالى ليست بالقليلة ، أرجو أن يتقبله الله - عز وجل - وأن ينفع به كل من قرأ هذا العمل المتواضع راجية التجاوز عما فيه من أخطاء وهنات ومن خلال هذا البحث توصلت إلى عدة نتائج من أبرزها ما يلى :

١ - أول ما يلفت الدارس لهذه القصيدة الجهد الذى بذله الشاعر فى انتقاء علمائه ، فهى عربية متحضرة دقيقة معبرة خير تعبير عن مقصود الشاعر ، فقد اختار من الكلمات أدقها فى أداء المعنى الذى يجول فى خاطره ، لا سيما فى مجال العظة والعبرة، فقد تتقارب الكلمات من حيث المعنى ولكن بعضها أدل على إحساس الشاعر من بعض ، والشاعر الموفق هو الذى يهتدى إلى الكلمة التى تكون شديدة الإبانة عما يريد ، قوية الإفصاح عما يقصد ، وقد حرص أبو العتاهية على استخدام مفردات معجمية دقيقة معبرة عن المعنى تعبيراً وافياً فمثلاً آثر الشاعر كلمة " المزمع " على " المسرع " فى البيت الحادى عشر ، وذلك لما توحيه هذه اللفظة من سرعة انتهاء الحياة، والرحيل عنها وكذلك آثر التعبير بلفظ " يلطمن " فى البيت الثامن عشر دون " يضربن " لأن اللطم أدل على شدة الحزن والمرارة التى يعانى منها أهل الميت حزناً على رحيله عنهم .

فكان دقيق الألفاظ ، محكم النسج ، رصين العبارة يفيض رقة وعذوبة ،

ليس فى قصيدته لفظة نابية ، ولا قلقة مستكرهة .

٢ . أبرز أبو العتاهية تجربة الزهد فى صورة فنية صادقة ، فمست أعماق النفس وغاصت من داخلها لتصور حقيقة الزهد ، وما يجب أن يعمله الإنسان لما بعد الموت حتى يلقى الله - عز وجل - راضياً عنه .

٣ . أكثر الشاعر من الأساليب الإنشائية وخاصة أسلوب الاستفهام، فقد ورد فى القصيدة خمس عشر مرة فى الأبيات (٤ ، ٥ ، ٦، ٨ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣، ٢٤ ، ٣٠) ولذلك لما يوحيه الاستفهام من التحسر والتحزن والتعجب إلى غير ذلك من الأغراض البلاغية التى جاءت ملائمة للمقام ، مناسبة للمعنى المراد .

وجاء أسلوب الأمر مرتين فى القصيدة فى البيتين (١١، ١٢) مراداً به النصح والإرشاد ، فأحسن توظيفه فى المعنى المقصود وهو الاستعداد التام لما بعد الموت ، والزهد والترغيب عن الحياة الدنيا الفانية .

واستخدم أسلوب النداء مرة واحدة فى قوله " يا طويل الرقاد" فى البيت الأخير ، واستخدم فى أدوات النداء " يا " دون سواها وكأن النداء صرخة مدوية واستغاثة مجلجلة للقلوب الغافلة عما يحدث لها فخرج النداء إلى الندبة والحزن .

٤ . أحسن أبو العتاهية استخدام الفصل والوصل فى العديد من المواضع فى القصيدة ، وكان على معرفة دقيقة بمواضع إنزال الجمل مواقعها فى ثنايا القصيدة ، سواء ما يحدث فيها من عطف بعضها على بعض ، أو ترك هذا العطف ، وإرسالها مستأنفة دون ربطها بما سبقها ، ومدركا للاستعمال الصحيح لحروف العطف وإيقاعها مواقعها اللائقة بها ، وكان مواضع الفصل بين الجمل كثيرة ، وكان أكثرها ورودا شبه كمال الاتصال الذى استعان به الشاعر فى الرد على ما يدور فى ذهن السامع

من أسئلة يستدعيها الموقف الذى قيلت فيه ، وكذلك ورد كمال الانقطاع بلا إيهام فى مواضع كثيرة للفصل بين الجمل ، كما استعمل الوصل بين الجمل فى جل القصيدة، وكان أكثرها وروداً التوسط بين الكمالين مع عدم المانع ، كل ذلك جاء مطابقاً للمعنى المقصود ملائما لمقتضى الحال ٠

٥ . أكثر أبو العتاهية من استعمال أساليب الأطناب المتعددة، وتوظيفها فى مواضعها الملائمة وأماكنها المناسبة، وكان من أكثر أساليب الاطناب ورودا فى القصيدة " التكرار " فقد ورد أربع عشرة مرة فى الأبيات (٦ ، ٨ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨) وكان الغرض من التكرار فى معظم الأحيان تأكيد العظة والعبرة أو تأكيد الإنذار والوعيد وجملة الأمر أن الشاعر أحسن استخدام صور الاطناب طوال القصيدة " من غير إطالة تبعث الملل إلى السامع أو تقصير تود النفس معه أن لو كان الشاعر أطال"[١]٠

٦ . تنوعت الصور البيانية من تشبيه واستعارة ومجاز مرسل وكناية فى القصيدة ولكنها قليلة فقد استعان أبو العتاهية بالصورة التشبيهية فى قصيدته مرتين فى الأبيات (٢ ، ٢٠) ولجأ إلى الاستعارة بصورها المختلفة خاصة المكنية أربع مرات فى الأبيات (٢١ ، ٢٧ ، ٣١) ، وجاء بالمجاز المرسل ثلاث مرات فى الأبيات (١٦ ، ١٧ ، ١٨) ٠ وعبر بأسلوب الكناية مرة واحدة فى البيت (٢٨) ٠

وقد جاءت صور البيان فيها تقليدية معروفة ومألوفة فى الشعر العربى فعلى الرغم من سمات الحزن التى ترافق أبياتها ، ومشاعر التحسر التى توشيها من أولها ألى آخرها ، فإن صورها البيانية لم تخرج عن الصور

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧ تحقيق أحمد شاكر ، مطبعة الفتوح الأدبية القاهرة ١٣٣٢هـ ٠

التقليدية المألوفة المعتادة، ومرجع ذلك إلى أن الشاعر عاد بصوره وأخيلته إلى البيئة العربية ليستقى منها ويرتوى بصورها المعروفة ٠

٧ . أما ألوان البديع فقد وردت بقلة فى القصيدة فقد جاء بالطباق مرة واحدة فى البيت (٣٠) والمقابلة وردت مرة واحدة أيضاً فى البيت (٣٢) ٠ هذا بالإضافة إلى براعة الاستهلال وحسن الانتهاء ٠

ويرجع قلة المحسنات البديعية فى القصيدة إلى أن طبيعة الموضوع لا تدعو إليها ، ولا تقتضى الإكثار منه ، لا سيما أن هذه المحسنات جلية يروق منها ما جاء فى مكانه ، وكان قليلا لا يخفى به جلال المعنى ولا يذهب بهدف الشاعر ، بل يخدم هذا الهدف ويزيد جمال المعنى ٠

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرست الآيات القرآنية

الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى	البقرة	بعض الآية ١٩٧	٢٤٦٧
وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ	يوسف	٢٠	٢٤٥٠
إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً	الكهف	٧	٢٤٥١
فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ{٧٩} وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ{٨٠}	القصص	٧٩، ٨٠	٢٤٥١
لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ	الحديد	بعض آية ٢٣	٢٤٤٩

الآيـــــة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارا	التحريم	٥	٢٤٦٣
وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ	الفجر	١٠	٢٤٦٤

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	رقم الصفحة
قال رسول الله ﷺ : " إذا أراد الله بعبد خيرا زهده فى الدنيا ورغبه فى الآخرة وبصره بعيوب نفسه	٢٤٥١
قال رسول الله ﷺ " من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ، ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات "	٢٤٥١

فهرس الأعلام

العلم	رقم الصفحة
شاة الكرمانى	٢٤٤٩
محمد بن على	٢٤٥٠

فهرس المصادر والمراجع

١. أبو العتاهية " حياته وشعره " تأليف محمد محمود الدش . دار الكتاب العربى ١٣٨٨هـ . ١٩٦٨م ٠

٢. إحياء علوم الدين للإمام الغزالى . دار المعرفة . بيروت ٠

٣. أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى . تحقيق محمود شاكر . مطبعة المدنى بالقاهرة . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ . ١٩٩١م ٠

٤. الأعلام للزركلى . دار العلم للملايين . الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٠م ٠

٥. الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى . مصورة عن طبعة دار الكتب . مؤسسة جمال للطباعة ٠

٦. البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م مطبعة المدنى ٠

٧. تاج العروس من جواهر القاموس ، لمرتضى الدين الزبيدى ٠

٨. تاريخ الأدب العربى العصر العباسى الأول د/ شوقى ضيف . دار المعارف . الطبعة السادسة عشرة ٠

٩. تاريخ بغداد للخطيب البغدادى . دار الكتاب العربى . بيروت ٠

١٠. دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى . تحقيق محمود شاكر . مكتبة الخانجى . القاهرة ٠

١١. الرسالة القشيرية فى علم التصوف لأبى القاسم القشيرى النيسابورى مع

تعقيبات شيخ الإسلام . ابن تيمية تحقيق ودراسة هانى الحاج . المكتبة التوفيقية .

١٢. شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى . تحقيق لجنة إحياء التراث العربى . دار الآفاق الجديدة .

١٣. شرح ديوان أبى العتاهية . دار صعب . بيروت بدون تاريخ.

١٤. شروح التلخيص للشراح . دار السرور . بيروت .

١٥. الشعر والشعراء للدينورى . حققه د/ مفيد قميحة . دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٠هـ . ١٩٨١م.

١٦. الصناعتين لأبى هلال العسكرى . حققه وضبط نصه . د/ مفيد قميحة . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الثانية . ١٤٠٩هـ . ١٩٨٩م .

١٧. طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى تحقيق : نور الدين شريبه . الطبعة الثالثة . ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م .

١٨. القاموس المحيط للفيروزآبادى . دار الجيل . بيروت .

١٩. لسان العرب لابن منظور . دار المعارف .

٢٠. لسان العرب لابن منظور . الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٢١. مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . دار الفكر . بيروت .

٢٢. مفتاح العلوم للسكاكى . ضبطه وكتب هوامشه نعيم زرزور . دار الكتب العلمية . بيروت .

٢٣. المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى . تحقيق محمد سيد كيلانى

. ط دار المعرفة . بيروت . بدون تاريخ ٠

٢٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان . تحقيق : حسان عباس . طبعة دار الآفاق الجديدة . بيروت ٠

٢٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان . طبعة دار صادر بيروت ١٩٠٠ م ٠